ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Resea. Adnan Khadir Marash Al-Zalzali

Dr. Mustafa Jafar Tayari Dehqani

Dr. Mohammad Shirin Kar Movahed

University of Religions and Sects - Qom - Iran

Email:
adnankhdair2022@gmail.com
Jafartayari@urd.ac.ir
Movahed1010@gmail.com

Keywords:

Knowledge, Heart, Interpretation of Al-Amthal

CC BY

Article info

Article history:

Received 20.Nov.2024

Accepted 24.Dec.2024

Published 25.May.2025

Heartfelt knowledge in the Holy Qur'an from the perspective of the interpretation of (The Optimal in the Revealed Book of God) by Sheikh Nasser Makarem Al-Shirazi

A B S T R A C T

If we follow the true knowledge that is without flaw, we will find that it is the knowledge resulting from the observation of the heart, not through the mind or sensory experience. This type of knowledge appears under the shadow of sincere work according to the rulings of religion, and thus it is the lofty and final fruit of true religion.

Our research touched on the knowledge of the heart, its concept, levels and conditions, and the concept of the heart in the Quran, i.e. what is meant by the term heart as a tool of perception. And that there is an intimate relationship between piety on the one hand and the heart on the other hand, because the knowledge of the heart and piety are twins. We also touched on the benefits of the knowledge of the heart.

From this standpoint, Sheikh Makarem Shirazi says: "The truth is that some sciences must be acquired through knowledge and learning in the prevailing and familiar manner, and another part of the divine sciences cannot be acquired by man except through the means of purifying the heart and cleansing the inner self with the water of knowledge and piety, and this is the light that is mentioned in the narrations that God casts into the heart of whoever is worthy of this honor "Knowledge is a light that God casts into the heart of whomever He wills".

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol59.Iss2.4167

المعرفة القلبية في القرآن الكريم من منظور تفسير (الأمثل في كتاب الله المنزل) للشيخ ناصر مكارم الشيرازي

الباحث: عدنان خضير مرهش الزلزلي المشرف: د. مصطفى جعفر طيّارى دهاقانى

المشرف المساعد: د. محمد شيرين كار موحد

جامعة الأديان والمذاهب ـ قم ـ ايران

الملخص

لو تتبعنا العرفان الحقيقي الذي لا خدش فيه لوجدناه عبارة عن المعرفة الناتجة عن طريق المشاهدة القلبية، لا بواسطة العقل ولا بالتجربة الحسّية. وهذا اللون من المعرفة يظهر تحت ظلّ العمل المخلص بأحكام الدين، وبالتالي فهو الثمرة النافعة والنهائية للدين الحقيقي.

تطرق بحثنا هذا إلى المعرفة القلبية مفهومها ومراتبها وشروطها، ومفهوم القلب في القران أي ما المقصود من مفردة القلب باعتباره أداة من أدوات الإدراك. وان هناك علاقة طردية بين التقوى من جهة والقلب من جهة أخرى وذلك لان المعرفة القلبية والتقوى تؤامان. كما وتطرقنا أيضا إلى فوائد المعرفة القلبية.

ومن هذا المنطلق، يقول الشيخ مكارم الشيرازي: " والحقّ أنّ بعض العلوم يجب اكتسابها عن طريق العلم والتعلّم بالشكل السائد والمتعارف، وقسمٌ آخر من العلوم الإلهيّة لا تتحصّل للإنسان إلاّ بوسيلة تزكية القلب وتصفية الباطن بماء المعرفة والتقوى، وهذا هو النور الذي ورد في الروايات أنّ الله يقذفه في قلب من يليق بهذه الكرامة «العلم نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء». (مكارم،، ١٤٣٤هـ –٢٠١٣م، ط ١)(الشيرازي، مكارم، ج٢: ص٣٥٨).

الكلمات المفتاحية: المعرفة ، القلب ، التفسير الأمثل .

مفهوم المعرفة القلبية

إن مصطلح المعرفة ومن خلال تتبع الباحث للتعريفات المختلفة ما هو إلا ادراك حقيقة الأشياء. أما القلب، فمن البديهي أنّه ليس المراد من القلب مضخّة الدم الصنوبرية، بل المراد من القلب في حقل المعرفة هو محور الإحساسات الخاصّة التي لا تمر عن طريق الحواسّ الخمس (البصر، السمع ، اللمس ، الذوق ، الشم)، ولا العقل، وأمثلة تلكم الإحساسات: الإحساس بالرحمة، والحبّ، والبغض وغير ذلك.

وبجمع الكلمتين المعرفة والقلبية يصبح معناها: هي استشعار وجداني يمكن الإنسان من معرفة نفسه أولا فتصبح معرفة تلك النفس بابا أو نافذة لمعرفة الله والنبوة والإمامة والمعاد بل ومعرفة المعارف كلها.

وأما الشيخ مكارم فقد استلهم المعرفة القلبية من خلال شروحاته الكثيرة عن القلب، فقال عندما قارن بين القلب المريض والقلب السليم: " وفي مقابل هذه القلوب طرح القلب السليم الخالي من العيوب المذكورة أعلاه، حيث أنّه صاف ورقيق مليء بالعطف وسالم ولا ينحرف عن الحقّ، القلب الذي وصف في الروايات بـ (حرم الله) إذ جاء في حديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) : (القلب حرم الله فلا تسكن حرم الله غير الله)" (بحار الأنوار، المجلّد ٦٧: ص ٢٥) (الشيرازي، ج١٤: ص ٣٥٣). ثم يقوم الشيخ بتعريف هذا القلب قائلا: " وهو القلب الذي يتمكّن من رؤية الحقائق الغيبية والنظر إلى الملكوت الأعلى، إذ ورد في حديث لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) " لولا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت" (بحار الأنوار، المجلّد ٦٧: ص ٥٩) . الملاحظ أنّ (القلب السليم) هو خير رأسمال للنجاة في يوم القيامة، وبه التحق إبراهيم (عليه السلام) بملكوت ربّه وتسلّم أمر الرسالة. نختتم هذا البحث بحديث آخر، إذ ورد في الروايات «إنّ

لله في عباده آنية وهو القلب فأحبّها إليه (أصفاها) و (أصلبها) و (أرقّها) : أصلبها في دين الله، وأصفاها من الذنوب، وأرقّها على الإخوان» (بحار الأنوار، المجلّد ٦٧: ص ٥٦) (الشيرازي، ج٦: ص٣٨٢). في مقالة للشيخ آية الله العظمى محمد السند البحراني عن المعرفة القلبية إن المراد من المعارف القلبية.

هي الإدراكات الحضورية حيث يقول: " يتفق الفلاسفة على أن هناك نحوين من الإدراكات التي يتوصل بها الإنسان لمعرفة الحقائق الأول هي الإدراكات العقلية والثاني هو الإدراكات القلبية، وضابطة التفصيل بينهما يعتمد على كيفية الإدراك فالأول يتم عن طريق الصور الحصولية للأشياء و الثاني يتم عن طريق الإدراكات الحضورية وهو الارتباط بالشيء ارتباطاً ما " (محمد السند، حجية المعارف القلبية: ٢٠٢٤)

إذن المعارف القلبية عند الشيخ السند هي أشد تجردا أي لا تتعلق بالصور كما هو الحال في الإدراكات العقلية بل هو الارتباط بالشيء على نحو ما.

مراتب المعرفة القلبية

للمعرفة القلبية درجات ومراتب يسلكها العارف عند رقيه وسموه، فذكر مركز المعارف للتأليف والتحقيق في كتاب له عن المعرفة– طريق الانقطاع إلى الله، قوله: " أما معرفة الله عن طريق القلب فلها مراتب أيضاً، وأدنى تلك المراتب هو الإحساس الفطري بالحاجة للكمال المطلق، وأول مرتبة للمعرفة القلبية تبدأ من المعرفة الفطرية القلبية، وتختتم بتجاوز الحجب الظلمانية والنورانية والوصول إلى مرتبة تجلّي الذات. وهذه المعرفة القلبية كالمعرفة العقلية الفطرية لا شرط لها إلا رفع الموانع الخاصة بها، وهذه الموانع هي نفس موانع المعرفة العقلية البديهية التي لولا وجودها لأدرك العقل خالقه وربه بنفسه ولأحس القلب به أيضاً.

كما يقول الإمام علي (عليه السلام) في وصفه لسالك الطريق إلى الله: " قد أحيا عقله وأمات نفسه حتّى دَقَّ جليله ولطف غَليظه وبَرَقَ له لامع كثير البرق فأبان له الطّريق وسلك به السّبيل وتدافعته الأبواب إلى باب السّلامة ودار الإقامة وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن والرّاحة بما استعمل قلبه وأرضى ربّه" (ابن أبي الحديد، ج ١١، ص١٢٧).

إذن يخلص الباحث على أن هناك مرتبتين ضروريتين، الأولى انطباع القلب بالصورة أي مجرد إشارة، أي فقط معلومة غائبة. والثانية انفعال القلب مع المعلومة التي تكون حاضرة وتتقوم و تتجوهر مع القلب، فكلما نسيت رسول الله ذكرته و هذه المرتبة لا تتحقق إلا بالخلاص من الطواغيت التي تحوم حول القلب.

ويضع الشيخ السند أربعة مراتب للمعارف القلبية فيقول: (المصدر نفسه)

١. القلب وهو الارتباط بحقائق الأشياء من دون توسط الصور المادية، نعم يدرك في هذه المرحلة الصور العينية البرزخية كما في سماع أنين الموتى من الصالحين و كذلك تشمل إدراكات عالم المثال ، و يقال حينئذ انها تدرك صور الجوهر المثالي.

٢ . السر وهي الإدراكات التي فوق عالم البرزخ و المثال فهي اكثر سعة من مرتبة القلب و اكثر إحاطة وجودية .

٣، ٤. الخفي والأخفى (المرتبة الثالثة هي الخفي، أما المرتبة الرابعة فهي الاخفى من الخفي) وهما المرتبتان المتعلقتان بالأنوار الربوبية وادراك الأسماء الإلهية.

شروط المعرفة القلبية

لا يمكن أن تتحقق المعرفة القلبية من غير الالتفات إلى دائرة الشك واليقين فبمجرد خروج الإنسان من الشك إلى اليقين يجد حلاوة ولذة ذلك في قلبه، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك" (المجلسي، ج٧١، ص٢١٤) وقال علي عليه السلام: إنه لا يستكمل أحد الإيمان حتى يعرفني كنه معرفتي بالنورانية فإذا عرفني بهذه المعرفة فقد امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام وصار عارفا مستبصرا، ومن قصر عن معرفة ذلك فهو شاك ومرتاب، يا سلمان ويا جندب قالا: لبيك يا أمير المؤمنين، قال (عليه السلام): معرفتي بالنورانية معرفة الله عز وجل" (المجلسي، ج ٢٦: ص ١)

- التدبر بالآيات القرآنية.
- تأدية حق الإمام بأداء ظاهر الشريعة وبتطبيق أوامر الإمام ونواهيه.

القلب من أدوات الإدراك

هناك ثلاث آيات تشير إشارة واضحة على أن القلب أداة بينة من أدوات الإدراك:

١- الآية الأولى: **(لهم قلوب لا يفقهون بها)** (سورة الأعراف: الآية ١٧٩) ما المراد من لا يفقهون بها؟ ذهب قسم من المفسرين أن القلب هو العقل. ولكن لو كان يقول لهم عقول لا يفقهون به؟ أو في مكان آخر لا يعقلون، فالسؤال لماذا يقول قلوب لا يفقهون بها. والجواب حسب رأي الباحث. هو أن القرآن ما قال ذلك إلا والقلوب لها ادراك، كما للعقل ادراك.

أما الشيخ مكارم فيميل برايه نحو أن القلب هو العقل، فيقول: " تقول الآية: **(لهم قلوب لا يفقهون بها)**، وقد قلنا مراراً: إنّ التعبير بـ «القلب» في مصطلح القرآن يعني الفكر والروح وقوّة العقل، أي أنّهم بالرّغم ممّا لديهم من استعداد للتفكير، وأنّهم ليسوا كالبهائم فاقدي الشعور والإدراك، إلاّ أنّهم في الوقت ذاته لا يفكرون في عاقبتهم ولا يستغلون تفكيرهم ليبلغوا السعادة".(الشيرازي، ج ٥: ص ٣٠١)

وهنا ينوه الشيخ الشيرازي إلى مسألة مهمة جداً، وهي خطورة عمى القلب فيقول:" إنّ الذين يفقدون بصرهم لا يفقدون بصيرتهم، بل تراهم أحياناً أكثر وعياً من الآخرين. أمّا العمي فهم الذين تعمى قلوبهم، فلا يدركون الحقيقة أبداً! لهذا يقول الرّسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) : «شرّ العمى، عمى القلب! وأعمى العمى عمى القلب».(نور الثقلين، المجلّد ٣، ص٥٠٨)(الشيرازي، ج ١٠: ص ٣٦٨)

ويتساءل الباحث هنا كيف يساوي الشيخ هنا بين القلب والعقل والله تعالى وضع لكل مفردة في القران معناها الخاص بها؟، فهو والله أعلم ربما وضع القلب في خانة العقل كون إن القلب له القدرة على الإدراك.

ويرى البقلي[١] إن القلوب هنا هي قلوب الشواهد، فيقول:" قوله { لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَآ } أي قلوبهم محجوبة عن مشاهدة الغيوب ولو ادركت تلك المشاهد لذاقت طعم الوصال وفهمت حقائق معالى النوال". (البقلي، ج١: ص ٤٤٩)

١- جاء في كتاب الاعلام للزركلي ان البَقْلي(٠٠٠ - ٦٠٦ هـ = ٠٠٠ - ١٢٠٩ م) هو روزبهان بن أبي النصر الفسوي الشيرازي الكازروني، صدر الدين، أبو محمد البقلي: صوفي، من أهل شيراز. له (عرائس البيان في حقائق القرآن) على طريقة أهل التصوف.

أوضح كمال إسماعيل لزيق في كتابه (مراتب المعرفة وهرم الوجود عند ملا صدرا) أن ملا صدرا الشيرازي[٢] قد جمع بين الاتجاهين العقلي والقلبي فقال: " فللعقل بالمعنى الأعم للكلمة عند الشيرازي حيثيتان: العقل كأداة فكرية، وهي وجهة النفس لعالم الكثرة والمعارف الذهنية العقلية الكلية؛ والعقل بالمعنى الوجودي عنده أي جهته نحو عالم الوحدة، وهو التعقل الكشفي. فكلا الجهتين تعقل، فالعقل جدل توحيدي وجودي، ينبسط على كل حقيقة وجود وموجود ليستكمل كل مضامينه وفعلياته وكمالاته برابط التوحيد؛ وهو جدل للعقل، لا يقوم على الاختزال والنفي (٢) ؛ بل على الجمع والإثبات أي الجمع بين الجهتين: الفكر والقلب، وإثبات كل أحد لفعالية الآخر. فالفكر، عندما ينضج يترك أثرًا في القلب، والكشف عند تحققه يُغذّي العقل لإدراك أقوى، وهكذا تصبح العلاقة دائرية، يكبر قطرها كلما زوّد أحد الجزأين الجزء الآخر، فلا انفصال في الوجود الجوهري الواحد للإنسان، ومن هنا تكون الفلسفة البرهانية عند الشيرازي تفسيرًا منطقيا عقليا لمسائل الشهود". (لزيق، ٢٠١٤، ط١: ص ١٥٧)

الآية الثانية: **(أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها)**، (سورة الحج: الآية ٤٦) وهنا من الواضح أن المراد من القلوب ليس العقول، فلازم الأمر القول لهم عقول يعقلون بها. إذن القلوب شيء غير العقول.

إلا أن الشيخ الشيرازي وكالعادة يكرر في مكتوباته على أن القلب هو العقل فيقول: " وهنا يثار سؤال: كيف يقال أنّ القلوب التي في الصدور تدرك الحقائق، في وقت نعلم فيه أنّ القلب مضخّة للدم ليس إلاّ؟! وقد أجبنا عن هذا في تفسير الآية السابقة من سورة البقرة، وخلاصته أنّ أحد معاني القلب هو العقل، ومن معاني الصدر ذات الإنسان. إضافةً إلى أنّ القلب مظهر العواطف، وكلّما تأثّرت العواطف والإدراكات الروحيّة في الإنسان، فإنّ أوّل أثرها ينعكس على القلب فتزداد نبضاته ويسرع الدم في جريانه، ويمنح الجسم نشاطاً وحيوية جديدة، فتنسب الظواهر الروحية إلى القلب، لأنّه أوّل من يتأثّر بها في جسم الإنسان. وممّا يلفت النظر أنّ الآية المذكورة أعلاه، نسبت سبل إدراك الإنسان إلى القلب (العقل) والأذنين، إشارةً إلى أنّه لا سبيل ثالث لإدراك الأشياء والحقائق. فإمّا أن يتفاعل مع الحدث في أعماق روحه ويسعى لتحليل المسائل بنفسه فيصل إلى النتيجة المتوخّاة، وإمّا أن يسمع النصيحة من المشفقين الهداة وأنبياء الله وأهل الحقّ، أو يصل إلى الحقائق عن طريق هذين السبيلين". (عن تفسير الميزان، المجلّد ١٤: ص ٤٢٦) (الشيرازي ، ج١٠: ص ٣٦٩)

الآية الثالثة: من الآيات القيمة في هذا المجال ﴿**أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**...﴾ (سورة محمد: الآية ٢٤) هل التدبر للعقل أم للقلب؟ تدبر القرآن من يقوم به؟ العقل أم القلب؟ القرآن يقول التدبر القرآني ما هو منشأه ؟ وعشرات الآيات تثبت أن القرآن استعمل مفردة القلب لإفادة الإدراك.

قال الشيخ محمد بن حسن الطوسي في تفسيره التبيان: " ثم قال موبخاً لهم { أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها } معناه أفلا يتدبرون القرآن بأن يتفكروا فيه ويعتبروا به أم على قلوبهم قفل يمنعهم من ذلك تنبيهاً لهم على أن الأمر بخلافه. وليس عليها ما يمنع من التدبر والتفكر والتدبر في النظر في موجب الأمر وعاقبته، وعلى هذا دعاهم إلى تدّبر القرآن. وفى ذلك حجة على بطلان قول من يقول لا يجوز تفسير شيء. من ظاهر القرآن إلا بخبر وسمع.

وفيه تنبيه على بطلان قول الجهال من أصحاب الحديث انه ينبغي أن يروى الحديث على ما جاء وإن كان مختلا في المعنى، لأن الله تعالى دعا إلى التدبر والفقه وذلك مناف للتأجل والتعامي". (الطوسي ، ج٩: ص٣٠٣)

٢- ملا صدرا محمد بن إبراهيم القوامي الشيرازي(٩٨٠هـ-١٠٥٠هـ) ، هو صدر الدين الشيرازي والمعروف بصدر المتألهين حكيم وفيلسوف مسلم شيعي إثنى عشري ولد أواخر القرن القرن العاشر الهجري في شيراز، وهو مؤسس مدرسة الحكمة المتعالية بنظريته الأساسية أصالة الوجود وإعتبارية الماهية.

وهنا يدعو الشيخ الطوسي إلى إعمال الفكر من خلال رفع الأقفال عنها.

يذكر شيخنا الجليل الشيرازي ان علة هؤلاء لا تخلو من احد أثنين فيقول: " نعم، إنّ عامل مسكنة هؤلاء وضياعهم أحد اثنين: إمّا أنّهم لا يتدبّرون في القرآن، برنامج الهداية الإلهية، والوصفة الطبية الشافية تماماً، أو أنّهم يتدبّرونه، إلاّ أنّ قلوبهم مقفلة نتيجة اتباع الهوى والأعمال التي قاموا بها من قبل، وهي مقفلة بشكل لا تنفذ معه أي حقيقة إلى قلوبهم".(الشيرازي، ج١٦: ص ٣٧٧)

ثم يشرح معنى هذه الأقفال فيقول: "«الأقفال» جمع قفل، وهي في الأصل من مادة القفول أي الرجوع، أو من القفيل، أي الأشياء اليابسة، ولمّا كان المتعارف أنّهم إذا أغلقوا الباب وقفلوها بقفل، فكلّ من يأت يقفل راجعاً، وكذلك لمّا كان القفل شيئاً صلباً لا ينفذ فيه شيء، لذا فقد أطلقت هذه الكلمة على هذه الآلة الخاصة" (المصدر نفسه)

المعرفة القلبيّة والتقوى توأمان

هناك تباين واضح بين معرفة الله عن طريق القلب، ومعرفة الله عن طريق العقل، وهي أنّ المعرفة القلبيّة توأم للبذل والعطاء والتقوى، الا ان المعرفة العقليّة يمكن أنْ تصبح مع التقوى تارة، ويمكن أنْ تكون بدونها، بل يمكن أنْ يكون الكفر رفيقا لها. حيث يقول تعالى في القرآن الكريم في كفر قوم فرعون فيصفهم: ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ** ...﴾ (سورة النمل: الآية ١٤) وعلى ضوء ذلك يصبح من البديهي أنْ يصدّق العقل بالله سبحانه وتعالى، ولكن اللسان يجحده، ويعمل الإنسان على النقيض مما يعلم، ولكن لا يمكن أنْ يحسّ القلب بالله وينكر اللسان، ولا يمكن أنْ توجد المعرفة القلبيّة ولا يوجد الالتزام والتقوى، قال الإمام الصادق (عليه السلام): " ولا معرفة إلَّا بعمل، فمن عرف دلّته المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له" .(الشيخ، ج١: ص٤٤)

هذه هي المعرفة القلبيّة التي هي توأم التقوى. وتأسيساً على ذلك، فإن محور القضية الذي يرتبط بمعرفة الله من الناحية الفرديّة ويكون له قيمة من الناحية العمليّة ظاهرا وباطنا، وله الدور الأساس بما يرتبط بتكامل الإنسان، هو المعرفة القلبيّة.

فوائد المعارف القلبية

من الممكن ان يتوفر الباحث على عدة فوائد للمعرفة القلبية، تلخص على النحو التالي:

آ . ان الإنسان لم يخلق لحياة ابديه في عالم الدنيا بل هو مخلوق لعوالم أخرى، والمراتب القلبية تجعله مشرفاً على تلكم العوالم.

ب . إن المراتب القلبية هي الطريق لمعرفة الغيب فأي إنسان يستطيع ادراك الغيب و لو مرتبة متدنية .

جـ . الفائدة العظيمة الأهمية في المعرفة القلبية هي مشاهدة أشرف مرئي و هو نور واجب الوجود.

د . إن الإدراكات العقلية يتصور فيها التصور و الشك و الترديد و الجزم ، أما في المدركات القلبية فهي صحيحة دوماً على صواب أبدً لا مكان للشك فيها حال المعاينة القلبية .

هـ . ان معرفة الإنسان لنفسه هي بوابة المعرفة الربوبية .

المقصود من «القلب» في القرآن

ذكر العلماء عدة معاني للقلب، فقد قال الغزالي: " القلب يطلق على معنيين: أحدهما: اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح والمعنى الثاني: هو لطيفه ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهو المدرك العالم العارف من الانسان، وهو المخاطب والمعاقب والمعاتب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسماني". (الغزالي، ج ٣: ص٤)

وأورد الشيخ آية الله جوادي آملي أختلافين إثنين بين القلب والعقل فقال: " القلب أيضاً يدرك المعاني المجردة، لكن القلب يختلف في إدراكه لهذه المعاني عن العقل بأمرين:

الإختلاف الأول: هو أن ما يدركه العقل من بعد على صورة مفهوم كلي يشاهده القلب عن قرب بصفة موجود شخصي خارجي له سعة وجودية.

الإختلاف الثاني: والذي هو نتيجة الاختلاف الأول هو أن العقل يعجز عن إدراك كثير من الحقائق لانحصاره في إطار الإدراك المفهومي. أما القلب فلإدراكه الشهودي يحيط علماً بالكثير من الأسرار الكلية بل والجزئية للعالم". (آملي ،ط١، ١٤١٧هـ: ص ٢٤٥) (آملي، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م)

وعد الشيخ آملي القلب يشمل العقل بل هو مرتبة من المراتب العقلية، فقال: "

١ – القلب في اصطلاح القرآن يشمل العقل أيضاً، كما أن العقل يشمل القلب كذلك.

٢ – القلب في اصطلاح أهل الحكمة يُعدّ من المراتب العقلية العملية وبعد التخلية و التجلية و التحلية يصل الدور إلى الفناء و الشهود.

تصور البعض – لعدهم القلب من مصادر المعرفة – أنه وخلافاً للعقل – لا يصل إلى الحقائق إلا عن طريق البحث في نفسه. ولم يلتفت هذا الفريق إلى أنه لا فرق بين العقل والقوى الإدراكية الأخرى من قبيل الوهم والخيال والحس من جهة أن أول ما يدركه هو المعلوم بالذات، أي إن الجميع القوى وقبل الإدراك الحصولي للحقائق الخارجية – إدراكاً شهوديا بالنسبة إلى المعلوم الذاتي الذي لديها.

و الاختلاف الموجود بين القلب والقوى الأخرى، هو فقط في شدة وضعف الحضور، وكذلك في سعة وضيق المعلوم بالذات".(آملي ،ط١، ١٤١٧هـ:ص ٢٤٥– ٢٤٦.)

ذكر الشيخ الشيرازي عدة معاني للقلب مستهلا كلامه باستفهام استنكاري: " لماذا نسب إدراك الحقائق في القرآن إلى القلب، بينما القلب ليس بمركز للإدراك بل مضخة لدفع الدم إلى البدن؟!. الجواب على ذلك: أن القلب في القرآن له معان متعددة منها:

١ . بمعنى العقل والإدراك كقوله تعالى: **(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ)** (سورة ق: الآية٣٧)

٢ . بمعنى الروح والنفس كقوله سبحانه: **(وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ)** (سورة الأحزاب: الآية١٠)

٣ . بمعنى مركز العواطف كقوله: **(سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعبَ)** (سورة ال عمران: الآية ١٥١) وقوله: **(فَبِما رَحْمَةَ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)** (سورة ال عمران: الآية ١٥٩) (الشيرازي، ج٦: ص٣٨٢).

ثم أضاف في استطراد لكلامه: " أن أحد معاني القلب في اللغة هو عقل وروح الإنسان، ومعنى ذلك أن القلب لا ينحصر بهذا العضو الخاص الموجود داخل الصدر، وهذا بنفسه يمكن أن يكون تفسيراً آخر لآيات القلب، لكن لا جميعها، لأن بعضها صرحت بأنّها القلوب التي في الصدور".(المصدر نفسه.)

طريق القلب إلى الله

حسب برهان الفطرة فان لكلِّ امرئٍ معراجا من قلبه إلى الله، فثمّة بابٌ في القلوب يفتح على الله تعالى. فحتّى أعتى الأشقياء عند الابتلاء، وبينما تتقطّع به الأسباب، تنتابه هزَّةٌ ورعشة ويلجأ إلى الله، وهذا الأمر متأصل في فطرة الإنسان، ومن الطبيعيّ في وجوده، إلَّا إنّ غشاوة الإثم والشّقاء قد تغطيه أحياناً، ثمّ تأتي البلايا والمنايا فتُحرّك هذه الفطرة وتبرزها للعيان.

ولقد جاء شخصٌ إلى الإمام الصادق (عليه السلام)، يسأله: يا بن رسول الله، دلّني على الله: ما هو؟ فقد أكثر عليّ المجادلون وحيّروني، فقال له: " (يا عبد الله، هل ركبت سفينة قطّ»، قال: نعم، قال: «فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك)، قال: نعم، قال: (فهل تعلّق قلبك هنالك أنّ شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك)، قال: نعم، قال الصّادق (عليه السلام): (فذلك الشّيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجي، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث)".(الصدوق، بن بابويه: ص٢٣١)

وبهذا جعل الإمام الصادق(عليه السلام) هذا الرّجلَ أن يعرفُ الله عن طريق قلبه﴿ **وَفِي أَنفُسِكُم أَفَلَا تُبصِرُونَ**﴾ (سورة الذاريات: الآية ٢١). إنّ هذا الاتّجاه في سويداء القلب، الذي يظهر عادة عند تقطُّع الأسباب، ويتوجّه إلى القوة اللامتناهية الغالبة على جميع الأسباب والعلل الظاهرة، هو الدَّليل القاطع على وجود تلك القدرة. ولولا وجودها لما وجدت تلك الفطرة في الإنسان.

نتيجة البحث

ومما تقدم وصل الباحث إلى النتائج التالية

١- أن اللغويين على اتفاق تام حول تعريف المعرفة، أما العلماء والمنظرين في تعريف المعرفة اصطلاحا فقد جاء كلاً حسب وجهة نظره للمعرفة ومجال تخصصه، مع الإقرار بصعوبة تعريف المعرفة ذاتها كونها شيء غير ملموس واضح المعالم يمكن فهمه واستيعابه بسهولة.

٢- لم يعثر الباحث على التعريف اللغوي لمفردة المعرفة في تفسير الأمثل بعد التتبع الكثير في هذا التفسير، ولكن الشيخ مكارم الشيرازي كان يرى أن العقل هو المعرفة، ويجب تمييز المعرفة الحقيقية، من خلال العقل، كما انه يرى أن المعرفة هي نور الله وهدايته يقذفها بما يشاء من قلوب عباده.

٣- ان المعرفة القلبية التي أن أحاط بها عبد ما فقد أوتي خيرا كثيرا وذلك نتيجة الحكمة التي تلقاها نتيجة الفيوضات القلبية.

٤- أن هناك مرتبتين ضروريتين من مراتب المعرفة القلبية، الأولى انطباع القلب بالصورة أي مجرد إشارة، أي فقط معلومة غائبة. والثانية انفعال القلب مع المعلومة التي تكون حاضرة وتتقوم وتتجوهر مع القلب، فكلما نسيت رسول الله ذكرته و هذه المرتبة لا تتحقق إلا بالخلاص من الطواغيت التي تحوم حول القلب.

٥- يرى الشيخ مكارم أن المعرفة القلبية لا يقصد منها تلك الصادرة من القلب الصنوبري الذي يقبع تحت أضلاع الإنسان وانما المقصود من المعرفة القلبية هي فكر الإنسان وقوة عقله. وقد اعتبر القلب هو الروح أو العقل في أماكن مختلفة من تفسيره الأمثل.

٦- من الممكن أن يستشرف الإنسان من خلال المعرفة القلبية عوالم أخرى غير العوالم الدنيوية كعالم البرزخ وعالم الذر وغيرها من عوالم قد تسبق الدنيا أو تأتي بعدها.

المصادر والمراجع :

١- آملي، آية الله جوادي، (١٤١٧هـ- ١٩٩٦م)، " نظرية المعرفة في القران "، ترجمة دار الإسراء للتحقيق والنشر، (بيروت: دار الصفوة، ط١،).

٢- البقلي، أبي محمّد صدر الدين روزبهان بن أبي نصر، ج١،" تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن"، بيروت، دار الكتب العلميّة، دت.

٣-الحويزي، (١٤١٢ - ١٣٧٠) الشيخ عبد علي العروسي(ت:١١١٢)، " تفسير نور الثقلين "، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، (قم: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع،ش، ط٤).

٤- الطباطبائي، محمد حسين، (٢٠١٧) "الميزان في تفسير القرآن"، بيروت: مؤسسة الاعلمي.

٥- الطوسي، محمد بن الحسن ، (١٤٦٠ هـ) " التبيان في تفسير القرآن"، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي، بيروت: دار إحياء التراث الإسلامي ، ، ط.

٦- الشيرازي، ناصر مكارم، (١٤٣٤هـ -٢٠١٣م) " الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل" ، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١.

٧-الصدوق، الشيخ محمّد بن علي بن بابويه،" التوحيد"، تصحيح وتعليق السيد هاشم الحسينيّ الطهرانيّ،(قم: مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران، لا.ت، لا.ط).

٨- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد(ت ٥٠٥هـ)، (١٤٣٢ هـ - ٢٠١١م) " إحياء علوم الدين"، دمشق: دار المنهاج، ، ط١

٩- الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق(ت ٣٢٩ هـ) (١٣٨٨هـ)، "الأصول من الكافي"، ج١ ، قم: دار الكتب الإسلامية، ، ط٣.

١٠- لزيق، كمال إسماعيل، (٢٠١٤) " مراتب المعرفة وهرم الوجود عند ملا صدرا "، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ، ط١

١١- المجلسي، الشيخ محمّد باقر بن محمّد تقي، (١٤٠٣ هـ) ، " بحار الأنوار "، بيروت: مؤسسة الوفاء، ق، ط٢

١٢- ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (المتوفى : ٦٥٦هـ)، " شرح نهج البلاغة "، المحقق : محمد عبد الكريم النمري، (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، ط١).

<u>المواقع الالكترونية</u>

١٣- السند، محمد ، "حجية المعارف القلبية"، الزيارة: ٢٤/ ٨/ ٢٠٢٤، الموقع: https://www.islam4u.com/ar/maghalat